نخبة من رحلة
شاه العجم ناصر الدين شاه
الى اوربّة سنة ١٨٧٣

عرّبها عن المتن الفارسي حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

نوطة

وقفنا على ما سطّرهُ شاه العجم السابق ناصر الدين شاه في اثناء رحلتهِ الاولى الى اوربّة سنة ١٨٧٣ فنشرهُ بالفارسيّة في عاصمة مملكتهِ. فأحببنا ان نتحف بعض فصولهِ بعد تعريبها قرّاء المشرق على مثال رِحَل اخرى سبقت المجلّة فنشرناها لبعض مشاهير الشرق كرحلة اوّل شرقيّ الى اميركة في القرن السابع عشر (في سنة المجلّة الثامنة) وكرحلة خليل صبّاغ الى طوريسينا سنة ١٧٥٣ (في سنتها السابعة) ورحلة محمّد سعيد باشا الى باريس في عهد لويس الخامس عشر (في السنة السابعة عشرة) الخ

اما ناصر الدين شاه صاحب هذه الرحلة فكان مولدهُ سنة ١٨٣١. خلف اباهُ محمد شاه على عرشهِ سنة ١٨٤٨ وعمرهُ بسبع عشرة سنة فتولى الامر الى السنة ١٨٩٦ وفيها اغتالهُ انصار الشيعة البابيّة فقام في الامر بعدهُ ابنهُ مظفّر الدين. كان ناصر الدين رجلًا متفقّهًا ساعيًا في رقي بلادهِ فاعترضهُ في تحقيق نيّاتهِ حزب المحافظين الرجعيين وفي مقدّمتهم علي محمّد المعروف «بالباب» مع انصارهِ فلم يزالوا يدسّون لهُ الدسائس الى ان قتلوهُ غيلةً

ولناصر الدين شاه تلك رِحَل الى اوربّة حضر في رحلتيهِ الآخرتين معرض باريس سنة ١٨٧٩و١٨٨٩ - والرحلة التي نقتنا بعض فصولها هي رحلتهُ الاولى حيث زار فيها روسيّة والمانية وبلجيكا وفرنسة وانكلترّة. وكانت غايتهُ من اسفارهِ هذه ان يدرس احوال اوربّة ويُدخل في مملكة ايران الاصلاحات التي يراها مفيدة لادارة شؤونها. فأعجز منها قسًا عالمًا على انهُ نُسب الى الاستبداد برأيهِ

اما ما نقلناهُ من رحلتهِ فليس فيهِ شيءٌ من الافكار السامية ولا من التفاصيل الدقيقة الانيقة التي يحلّي بها تآليفهم الكتبة العصريّون كمصنّفات الكاتب الفرنسوي پيار لوتي (P. Loti) والكاتب الوطني حنّا خبّاز في كتابهِ حول الكرة الارضيّة. وانّما لذّتهُ في وقوفنا على خواطر عقلهِ الفطريّة وشوارعهِ الساذجة اذ يتجلى لهُ التمدّن الاوربيّ لاوّل مرّة فيرى حضارة تلك البلاد واختراعاتها العجيبة التي لم تدر قبلًا على خلَدهِ فيصفها كما أثّر نظرُها فيهِ. وقد اجهدنا نفسنا في تعريب ما حرّرهُ بكل امانة وان ذهب ذلك بشيءٍ من رونق الكلام العربيّ لما بين اللغتين من التباين فضلًا عمّا في الاصل الفارسي من ركاكة الانشاء

١ وصف قطار السكة الحديدية

كانت عربات السكة الحديدية (على طراز العربات) المختصة بالقيصر (١ وهي فاخرة جدًّا وفسيحة ومزيّنة . والحجر المتعدّدة للاكل والنوم والاستقبال مزدانة كلها بالمصابيح والطاولات والكراسي والتخوت والمقاعد الصغيرة . وكل العربات موصولة بعضها ببعض بحيث يمكن الذهاب والاياب في جميعها . وكان جالساً معنا في عربتنا الاشخاص الذين كانوا في رفقتنا على الباخرة « قسطنطين » امّا الامراء وغيرهم فكانوا سائرين خلفنا في قطار آخر من العربات . وهذه المرّة الاولى ركبنا عربة البخار وهي حسنة ومريحة للغاية تقطع في الساعة خمسة فرسنغات (٢

٢ وصف نهر نيفا في بطرسبرغ

نهر نيفا (Néva) يسيل في بطرسبرغ من جهة الشمال الى جهة الجنوب الشرقي وهو نهر عظيم جدًّا تسير عليه البواخر الكبرى . وهو يأتي كل يوم من الشمال بقطع كثيرة من الجليد شبه الجبال صافية جميلة كثلج طرنشال في أبْرُز (٣ . يقال ان ماء نيفا غير مري . وقد منعني القيصر عن شربه . ومنزلنا على احدى ضفّتي النهر في قصر هناك . وعلى الضفّة المقابلة لهُ قلعة قديمة شيدت في ايام بطرس الكبير . وفي وسط القلعة كنيسة ذات برج مرتفع وفي هذا المكان مدفن قياصرة الروس . وفي القلعة ايضاً دار الصناعة لضرب السكوكات . امّا شوارع بطرسبرغ فهي مُنارة بالغاز

٣ الوصول الى برلين

وصلنا الى ضواحي مدينة برلين الكثيرة العمارات فكان قطار السكة الحديدية يحملنا احياناً على جسر وطورًا (يصعد بنا) الى فوق (الطرقات) وتارةً الى تحتها واحياناً اخرى يُدار كالحصان الذي لجامه بيد راكبه . فوقع ذلك عندي موقع الدهشة . اما السكك الحديدية فقد خُطّت بكثرة في كل أوب وكنت ارى على الطريق عدداً من القاطرات والمركبات يفوق الحصر بينها كثيرٌ من القطارات

---

١) اسكندر الثالث (١٨٥٤-١٨٩٤) الذي خلفهُ نقولا الثاني ٢) الفرسنغ عند العجم عبارة عن ٦ كيلومترات تقريباً ٣) في الخاء المعجم

البخارية . اخيراً وصلنا الى المحطة فنزلنا

وكان ينتظرنا هناك امبراطور المانية غليوم (١ وسمو ولي العهد ابنه وسمو الامير كَرْل ابن اخيه وفريدرك كرل ابن اخيه وفاتح مدينة متس (٢ وامراء غيرهم من العائلة القيصرية مثل الامير هوهنزلرن — وهو الشاب الذي انتشب بسببه القتال بين المانية وفرنسة حيث لم يرض الفرنسيون ان يصير ملكاً على الاسبانيين — والبرنس بسمرك كبير وزراء الدولة الالمانية وهو معروف مشهور ، والمرشال رُون (Roon) وزير الحربية والصدر الاعظم لبروسية ، والجنرال مُلتكه وهو الآن مرشال وقائد عام ذائع الشهرة ، وغيرهم من القوّاد والضباط والحرّاس والموسيقيين والفرسان والمشاة الخ وجموع لا تُحصى فاستقبلونا خير استقبال

بعد ان صافحتْ يد جلالة الامبراطور ركبت عربةً مكشوفة ومررنا بشارع عريض تظلّلهُ على طرفيه اشجار قديمة بيضاء الازهار ، وهو مبلّط وفسيح تُحدق به البيوت من كل الجهات . وكان جمّ غفير من الناس يهتفون هتاف السرور (لقدومنا) فرددتُ على تحيّة الجميع . وكنت اتكلّم مع القيصر بالفرنسية حتى وصلنا الى مكان على شكل باب كبير حيث انتهت الاشجار ، وعلى الجانبين بنايات عالية ذات طوابق عديدة . ورأيت عموداً صُنع اخيراً لتذكار الانتصار على فرنسة ولم ينتهوا من اقامته . وكان على الطريق تمثال فريدرك الاول نعني فريدرك الكبير (٣ المصوغ من البرُنز . مررنا بالكلية وهي مدرسة عالية يدرس فيها الفان من التلامذة . ومررنا بخزانة الاسلحة على الشمال يوازيها على اليمين بلاط القيصر الخاصّ وقد اتخذهُ سكناً منذ كان ولي العهد ، ثم سرنا قريباً من دار ولي العهد حتى وصلنا الى ميدان ذي حوضين تنبجس من كل منهما فوّارةٌ عالية . وعندك على اليمين موقع القصر الامبراطوري المعيّن لاقامتي وكان سبقنا اليه الجمّ الغفير فعند نزولنا كانت فرق من الجنود من الطرز القديم ذوي الملابس الحسنة الموكولة اليهم حراسة القصر واقفين في داخل الغرف ، وكان واقفاً على الابواب مع الخدّام وغيرهم ومع حرّاس من الفرسان

١) بريد غليوم الاول (١٧٩٧–١٨٨٨) الذي تتوّج امبراطوراً لالمانية في قصر فرسايل بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٨٧١ وقد خلفهُ ابنهُ فريدرك الثالث ثم حفيده غليوم الثاني (١٨٨٨–١٩١٨)

٢) في الحرب السبعينية المشهورة

٣) قد اخطأ الشاه فان هذا هو فريدرك الثاني (١٧١٢—١٧٨٦)

شبانٌ حسانٌ وسام ذوو ملابس فاخرة

صعدنا على الدرج فرأينا في وسط الميدان المقابل للعمارة بساتين غاية في الجمال زُرعت فيها انواع الزهور وشجر الزرادخت وغيرها . وقد صاغوا تمثالي حصانين من البرنز ولجام كل منهما بيد فارس — ارانا الامبراطور كل الغرف وفي النهاية تصاوير وتماثيل حسنة — ثم عرّفتُ جلالتهُ بالصدر الاعظم والامراء وغيرهم والامبراطور كان قد عرّفني في المحطّة بامرائهِ وخدمه . وبعد ان خلوت بهِ في حُجرة تحادثنا قليلًا بحضرة الصدر الاعظم . ومن بعد انطلاق الامبراطور بدقيقة عدنا فركبنا العربة وذهبنا الى داره فاتى لاستقبالنا الى اسفل الدرج فذهبنا وجلسنا وتحادثنا وبعد بضع دقائق رجعنا

الامبراطور ابن ٧٦ سنة واخوه ابن ٧٣ على ان كليهما في تمام البنية والقوة . البرنس بسمرك في الثامنة والخمسين (من عمره) والمرشال ملتكه في الخامسة والسبعين وسمو ولي العهد في الثانية والاربعين

لم نذهب في مساء النهار الى مكان . مدينة برلين منارة بالانار ومصابيحها اكثر منها في بطرسبرغ . بازاء عمارتنا من وراء الميدان بناية متحف برلين . وايضاً على احد الاطراف كنيسة وعلى الآخر بناية خزانة الاسلحة . وفي وسط الميدان رابية محاطة بالدرج وقد نصبوا عليها تمثال فريدرك الكبير من البرنز راكباً جواده

واجهات مباني برلين مطليّة بلون رمادي وذلك يذهب ببعض بهاء المدينة بخلاف بطرسبرغ المصبوغة مبانيها بانواع الالوان . يمرّ على طرف مدينة برلين نهرٌ اسمه سپره (Spree) ويمر فرعٌ منه بوسط المدينة لكنه قليل العرض ومائه رديء للغاية

خلاصة القول اننا قطعنا اليوم ثمانين فرسخاً من الطريق في احدى عشرة ساعة بل اقل

٤ زيارة مريضة الجولانات في برلين

بعد الفطور اتى لمقابلتنا سفراء الدولة الاجنبيّة ولم يحضر سفير فرنسة لعدم حصوله على رسالة التفويض بسبب استقالة المسيو تيار (Thiers) . ثم ذهبنا الى غرفة اخرى واستفهمنا السفراء واحداً فواحداً عن احواله . ثم جاء البرنس بسمرك فتكالمنا مليا ، ثم اتى المرشال رون وزير الحربية ثم المرشال ملتكه فتحادثنا قليلًا

ناصر الدين شاه ملك العجم

(١٨٤٨-١٨٩٦)

وبعد ان قمنا وغيّرنا ملابسنا ركبنا العربة وذهبنا الى حديقة الحيوانات . اليوم ايضاً عيدٌ لدى الأوربّيين فكان كل اهل المدينة في حراك وجمع كثير وعربات عديدة على الطريق وعلى طرفيه . وكان الموسيقيُّون يعزفون بآلاتهم في الحديقة . وهي ذات برك كثيرة وفي البرك ضروب الطير المائية

ثم عاينا واحداً فواحداً الاقفاص الكبيرة الجميلة وقد جمعوا كل نوع من الحيوانات في قفص على حدة . ورأينا انواع الطيور الجوارح بينها النسر والكندر (Condor) وهو من البتزان معروفٌ وكبير يجلبونه من العالم الجديد وكان منهُ زوج هنا . وهو طير غريب لونه ضارب الى السواد . وهو مهيبٌ للغاية لكن براثنه لا تماثل في الحدَّة براثن النسر . وهو من جنس العقبان

وكانت هناك فضلاً عن ذلك انواع كراكيّ افريقية والهند والعالم الجديد وغيرها وهي اقوى واجمل كثيراً من الكراكي المعروفة بايران . كل انواع الطيور الموجودة في العالم كانت موجودةً هنا (١ فهيهات ان تُحصى بالكتابة . وما كنت رأيته مصوّراً منها في الكتب عاينته حيّاً هنا

ثم دخلنا في دهليز اقفاص الحيوانات الكاسرة فكان هناك ضروب السباع مما يفوق التصوُّر كاسد افريقة ذي الذؤابة (٢ الذي لم أرَه سوى في الصور . وهو عظيم الجثة ومهيب وقد ارخى ذؤابتهُ وهي سوداء وكثيفة جداً . رأسه بحجم رأس الفيل بل اكبر وعيناه هائلتان للغاية وجسمه ناعم كالمخمل . كان حارسه يقدّم لهُ قطعة من اللحم فينتصب ليقبضها وكانت قامته يبلغ طولها ثلاثة او اربعة اذرع . وكانت قطع اللحم تُنقل في عربة صغيرة وتوزّع على الحيوانات

المحل المطلّ على دهليز الاقفاص عبارة عن بيوت مفصّلة للحيوانات ولكل بيت باب من لوح كثيف يُرفع بسلسلة . وعلى الجهة الاخرى من باب هذا المحلّ مكان لحركة الحيوانات . فمتى رُفع الباب خرج الحيوان وفي الحال يُخفض الباب ويُنظَّف البيت . وقد فرشوا بالالواح ارضيَّة الحجر . لا يستطيع احدٌ الدنوّ الى هذه الحيوانات . حتى اللحم يُعطى لهم من ثقب في الشبابيك . وبالاجمال كنت ارغب في مشاهدة هذا الاسد (٣ لكني لم اقدر بسبب ازدحام المشاهدين . ثم رأيت بعض

١) في ذلك بالذة فاحشة كما لا يخفى ٢) لا ذؤابة لآساد ايران وما بين النهرين
٣) اسد افريقية الموصوف آنفاً

نمورة عظيمة جدًّا من نمورة الهند وأفريقية ، وبعض فهود سوداء من افريقية غريبة ومهيبة للغاية . وكان ايضاً أسد أخر منها واحد ذي ذؤابة جسيم جدًّا لكنّ ذؤابته دون ذؤابة الاسد الاوّل . وكانت ايضاً لبؤة قد ولدت هناك بعض الاشبال وقد كبر اشبالها

وهناك ايضاً فهود كثيرة ونمورة شتى وضباع عجيبة الخلقة من افريقية يُسمع لها اصوات غريبة . وخلاصة القول قد رأينا اقفاصاً عديدة وفي كل منها انواع الحيوانات . ومنها ايضاً قردة متنوعة وغيرها ، وفيلان احدهما كبير استجلبوه من الهند والآخر من افريقية . والفرق عظيم بين الفيل الافريقي والهندي فانّ أذني الاوّل اكبر واعرض كثيرًا (من زميله الهندي) . . . ولحديقة الحيوانات مدير عالم حاذق يدعى الدكتور بودينوس

٥ زيارة مصنع كروب للمدافع في اسن

وصلنا الى مصنع كروب في اسن (Essen) ساعةً قبل الغروب والمسيو كروب نفسه كان اتى الى المحطة لاستقبالنا . هو شخص طاعن في السنّ طويل القامة ضامر الجسم . فهو ذاتهُ انشأ كل هذه المصانع فيبيع منها مدافع لكل الدول . هنا تُصنع كل انواع المدافع كمدافع القلاع الضخمة ومدافع البوارج ومدافع ميادين المعارك . وهذا المعمل ومصانعهُ البخارية بمثابة مدينة عظيمة فيها خمسة عشر الف عامل اقام من اجلهم المسيو كروب البيوت والمساكن وهو يدفع لهم اجور شغلهم . فبعد طرح النفقات السنوية يبلغ صافي دَخله ستمائة الف تومان (١ نقدًا

اخيرًا توجهنا الى المصنع ذات المطرقة البخارية وهي مطرقة غريبة مثل الجبل تقوّم بطرقها اشكال المدافع وذلك بقوة البخار . فتصاغ المدافع على الهيئة المرغوبة . ومتى صدمت المطرقة مدفعاً ارتجّت ارض المصنع وارتعشت . وهذا من غرائب الامور . وبعد ان طفنا في كل المصنع ورأينا صوغ بعض مدافع كبيرة وصغيرة ذهبنا الى دارٍ معيَّنة وتناولنا هناك العشاء . قدّموا لنا عشاء جيدًا . وقد رأينا في مدفإ لشجر البرتقال (٢ شجرة يبلغ طول ورقها ذراعين ونصفاً وعرضهُ نصف ذراع . ومع كون

١) التومان يساوي ١١ فرنكًا و ١٠ سنتيمًا (ذهبًا لا ورقًا)

٢) بيت تنقل اليه في الشتاء الاشجار الصغيرة التي يُخشى عليها من الزمهرير

المطرقة البخارية بعيدةً جدًا من هذه الغرفة كانت تهز ارضها كما في حين الزلازل . وقد اهدانا المسيو كروب بندقيَّة مُثلى مع كل لوازمها وزُنها ستة لبرات انكليزية وهي تُحشى بالبارود من مؤخرها

٦ ملاحظات على المانية

في المانية تقوم النساء باشغالٍ كثيرة متعبة ولاسيَّما في الزراعة وخدمة الباتين حيث يشتغلن اكثر من ازواجهن — ومن عاداتهم انهم يغطون آذان خيل العربات وغيرها في المانية بقطعة نسيج قرمزي ليقوها من الذبان — ومنها في برلين وسائر المدن انَّ صغار احداثهم يربطون على كتفهم كيس الجنود فيسيرون في الشوارع ويتفخرون في الابراق وذلك حتى يتلقنوا العوائد العسكرية منذ طفوليتهم — وتبليط شوارعهم حسن للغاية ويستعملون فيه حجارةً مربَّعة صغيرة منحوتة وموصولة بعضها ببعض وصلًا محكمًا — آجرّ اوربَّة ليست مربَّعة وكبيرة مثل آجرّ ايران بل على شكل آجرّ طهران المشطورة شطرين

٧ الطفاوده (١ الاكليز في لندره

اليوم قبل معاينة الوزراء وغيرهم اتى الطفاوون الى الحديقة التي امام الدار ليقوموا فيها بتاريهم . فركبوا السلالم وافترضوا انطابق البيت الاعلى قد نشبت به النار . فصعدوا على السلم بخفة وسرعة كاملة واخذوا على اكتافهم بعض الناس السالمين والمحترقين كليًّا او جزئيًّا فانزلوهم الى اسفل الدار ، وربطوا أحقاء البعض بحبال وانحدروا بهم الى الارض

قد اخترعوا اختراعات جميلة لينقذوا البشر من الحريق لكنَّ العجب العجاب في كونهم من جهة يجرون تلك الاختراعات الجديدة ، ويتخذون التدابير اللازمة لتخليص الناس من الموت ، ومن جهة اخرى يبتدعون في مصانع وُلوتش (Woolwich) باذكلترة وكروب بالمانية الاختراعات الحديثة من مدافع وبنادق وقنابل يدوية وغيرها اقتل الجنس البشري قتلًا اعمَّ واسرع! وكلٌّ من توفق باختراعه الى وضع آلة

١) اطلقنا هذه اللفظة على الذين يقومون باطفاء الحرائق

يُهلك بها الناس اهلاكاً اعمّ واسرع يفتخر بذلك وينال الأوسمة !

٨ في معرض الصاوير بلندره

رأينا صورة حمار فسألنا : كم ثمنه . فقال مدير المعرض وهو رجل لطيف ذو لحية بيضاء واقف على ثمن كل الصور : « يساوي مائة ليرة انكليزية » وذلك يعادل ٢٥٠ تومانًا ايرانيًا . فقلنا : « ثمن الحمار الحيّ معظمه خمس ليرات فلماذا يكون غاليًا بهذا المقدار ذاك الذي لهُ مجرّد شكل الحمار ؟ » فاجاب المدير : « لانه لا يسبب ادنى نفقة حيث لا يأكل الشعير ولا التبن المفتت » فقلت : « ان كان لا يسبب النفقة فأنهُ لا يجرّ الاثقال ولا يصلح للركوب » فضحكنا كثيرًا .

٩ محادثات مع كرميو وروتشلد وغيرهما في باريس

المسيو كرميو (Crémieux) وهو احد منتدبي فرنسة يهوديّ لم يزل من خصوم نابوليون الثالث اتى لمواجهتنا . وهو شيخ قصير القامة وخطيب مصقع لا يفتأ يخطب في مجلس برلمان فرنسة ضد الحكومة

روتشلد المعروف يهوديّ ايضاً ذو غنى طائل ، مثّل بين يدينا فدافع دفاعاً شديدًا عن يهود ايران والتمس منا ان نمنحهم السلام . فقلت لهُ : « سمعت انّ لك ولاخوتك خمسمائة مليون من المال فيلوح لي ان الاصوب ان تعطوا خمسين مليوناً لدولة صغيرة او كبيرة فتشتروا منها مملكةً لكم وتجمعوا هنالك يهود العالم اجمع وتكونوا انتم رؤساء تلك المملكة فتحكموا على الكل بسلام ولا يكونوا متفرقين واشقياء كما هم الآن » . فضحكنا كثيرًا ولم يُحرْ جواباً . ثم اطلعته على كوني احمي كل الملل الاجنبيّة القاطنة في ايران

ورأينا المسيو دي لسبس (de Lesseps) المعروف الذي وصل البحر الاحمر بالمتوسط . وذلك انّ شركةً كبيرة قد تشكلت وبهمّة ذلك الشخص فتحت ذاك المجاز وبتلك الواسطة قربت درب تجارة الهند وايران والصين وغيرها من اوربة بزهاء الفي فرسخ (١ الى لمواجهتنا مع ابنه وهذا شابّ . وفي دماغه فكرة جديدة وهي ان ينشئ سكةً حديدية من مدينة اورنبرغ (Orenburg) في روسية الى

١) الفرسخ يوازي نحو ٦ كيلومترات كما سبقت الاشارة

مدينة سمرقند حتى مدينة پشاور الواقعة في ارض الهند البريطانية . على ان هذه الفكرة بعيدة جداً عن التحقق

اتى لمقابلتنا نادار (Nadar) وهو المصور الشمسي الباريسي الشهير فاخذ صورتنا . كثيراً ما ركب المناطيد وطاف بالجو سابقاً لكنه ترك الآن ذلك الفكر فيشتغل بالفوتغرافية . وهو شخص صاحب ذوق وشديد البنية

١٠ الملعب في باريس

في ذات مساء ذهبنا الى الملعب الواقع في جوار دارنا . وهو محل على مثل مسرح ولكنه احسن . قد شيّدوهُ عمارةً مستديرة تحيط بها درجات خشبية لجلوس الناس . ولهُ ايضاً سقف قد أُنيطت به ثريّات كثيرة . وقد رُشّ الرمل على منتصف هذه البناية كما يُفعل على غور معاهد المصارعة . امّا وسعها فكافٍ لايواء ثلاثة آلاف . . . وكان هنالك جمع كثير خصوصاً في الليلة التي ذهبنا فيها . يوّجر الكرسي بثلاثين تومانا وبخمسة عشر . كان هناك نساء جميلات المنظر والصدر الاعظم والامراء وغيرهم بين الحاضرين . لهذا المكان ثلاثة ابواب . احدها باب اصطبل الخيل الملعب وهو بجوار المضمار فمنه تدخل وتخرج . وعندهم من خمسين الى ستين حصاناً مطهماً ذات الوان غريبة لم ارَ مثلها في مكان آخر . وكان فيها خيلٌ ذات شامات عجيبة يبلغ قيمة الواحد منها الف تومان او خمسمائة . وقد تثقّفت تلك الخيل وتعودت على ايواء كل حركة تُراد منها لدى اشارة واحدة . كل الخيل تعرف الاشارات . كان المثقف يقول لها : «قفي» فتقف جميعها . ويقول : «انطلقي بسرعة» فتركض يقول : «ارتفعي» فترتفع فوراً . يقول : «اركضي منحنية» فتركض . وبالاجمال كانت تفعل ما يقول لها . وكان في يد ناظر اصطبل الخيل سوط كبير يحركه دواماً وله شبه دويّ بندقيّة

كانت نسوانٌ جميلات الهيأة والملبس يَدُرْنَ حول المضمار راكبات على الخيل ويقفزن من على ظهرها ويتكوّسنَ على رأسهنّ (١ الى الوراء ويسقطنَ بدون اصطدام

١) التكوّس على الرأس عبارة عن رفع الرجلين بقفزة عن الارض او ما شاكلها ثم بدوران الجسم دورة كاملة في الهواء — فني بدون ادنى سند — حول محور وهي ماز بالمنوين واخيراً بانحدار المتوكس على الارض منتصباً على قدميه كما كان في اوّل هذه الحركة . وفي ذلك ما فيه من الصعوبة الشديدة والمهارة الفائقة

وكان بعض الاشخاص على حافّة دائرة المضمار ماسكين اوشحةً ورافعين كلهم ايديهم بينما كانت امرأة جميلة تعدو على حصان حول المضمار. وكانت في اشدّ عدو الحصان وعند كل وشاح تمرّ امامه . ترتفع من على الفرس وتتكوس على رأسها تكوّساً معكوساً(١ فتنتصب ثانيةً ورجلاها على ظهره عند مرورها خلف الوشاح. تكوّست مرتين وانحدرت كما ينبغي على متن الحصان . المرة الثالثة سقطت على الارض لكنها لم تعبأ بذلك بل عاودت القفز فتكوست ثلاث مرار على ظهر الفرس

١١ زيارة مدرسة لراهبات المحبة في باريس

في الشارع الواقع بجوار القصر رأيت جمًّا غفيراً واقفين بانتظارنا فاتضح لنا ان الجنرال بايول (Payoll) أطلع راهبات المحبة على ميعاد زيارتنا . فنزلنا من العربة ووصلنا الى المدرسة . وكان احد الكهنة يتكلم حسناً بالفارسية لأنهُ كان في مدرسة خسرو آباد بجوار اورمية في آذربيجان يدرّس الاطفال الكاثوليك . وكان هناك نساء عديدات ممّن هجرنَ العالم وهن مرتديات بثياب سوداء ولهنَّ قبعاتٌ بيضاء غريبة على شبه اذن الفيل وقد عُنين بتربية التلامذة بلطف كامل . هؤلاء التلامذة منقسمون الى ستة صفوف والمدرسة ذات ستة طوابق ايضاً فبكل طابق صف من التلامذة . منْ اطفال ستة واربعة اعوام الى بناتٍ وحبيبات بسنّ العشرين جميعهم يتلقنون التعليم هنا حيث يقيم الف تلميذ . الراهبات يستقدمن الاطفال اليتامى فيخدمنهم ويدرّسنهم كل العلوم من هندسة وجغرافية وألسن وخياطة وصُنع الازهار (٢ الى غير ذلك . البنات يصنعن زهوراً بغاية الحسن وقد قدّمنَ لي باقة ازهار جميلة جدًّا

كانت الراهبات قد اجلسن بكمال الادب وحسن الترتيب نحو مائتي طفل من ابناء اربع سنوات على طبقات الدرج الخشبية بغرفة التدريس (٣ وكانت راهبة مسنة — وهي معلمتهم — قد علّمتهم نشيداً واقوالاً بالشعر الفرنسي لمدح زيارتنا فغنى الاطفال بانتظام كامل . وكبار البنات الجالسات على طبقات الدرج العليا انشدنَ ايضاً نغمةً واشعاراً حسنة . فراقت جدًّا في عيني كيفية العناية بالاطفال والتلامذة في هذا المكان

---

١) يعني متجها ليس الى الامام بل الى الوراء. ٢) الازهار الاصطناعية المعروفة

٣) هي المشيّات المدرّجة المعروفة عند الفرنج باسم (amphithéatre)